الفصل العاشر

« خصـــائص العمليـــة التعليمية »

١ ــ اليسر والبساطة والتدرج :

قال تعالى :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (١) ٠

كان من رافة الله ورحمته برسوله ان نزل القرآن منجما على مدى بضعة وعشرين عاما وكان نزول القرآن مفرقا خلال تلك السنين فـــوق قدرة فهم الكفار حين قالوا : فى قوله تعالى :

« لولا نزل عليه القرآن جملة واحـــدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيـــلا » (٢) ٠

فكان ذلك اعون على حفظه واثبت فى وعيه وابقى له على الدهر وابعـد له من شر التحريف أو التشويه الذى منى به غيره من الكتب السماوية ٠

ولعل العـــرب كانوا من الناحية العقلية والدينية والاجتماعية فى حال لاتهيؤهم كثيرا لتلقى كتاب كامل دفعة واحدة فكانت الحكمة فى ان ينزل اليهم القرآن منجما مفرقا يتلقونه تدريجيا وشيئا فشيئا وقد احتفت به مناسابت نزوله٠ فنزول الآيات مترتبطا بالأحداث والوقائع جعلها أيسر فى حفظها واسهل فى تذكرها ٠ وهذا ما اثبته العلم الحديث من ان المعرفة التى يكتسبها الفرد من خلال موقف تعليمى تكون اكثر ثباتا فى الذاكرة وأيسر على الحفظ والاسترجاع فى موقف متشـــابه ٠

وقد استفاد الرسول مما علمه ربه وسار على مبادىء أساسية فى تعليم الصحابة واهل الجزيرة وغيرهم من المسلمين وأول مبدأ هو تجزئه مايلقن به المسلمون من علم وفروض ، واعطائهم العلم شيئا فشيئا بل التأكد من ايمانهم ومن رفض ان يؤمن ويتعلم من أهل الكتاب فلا اكراه فى الدين بل تدفع الجـــزية عن يد وهم صاغرون ٠

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ ٠

(٢) سورة الفرقان آية ٣٢ ٠

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه من القراء والحفاظ المعلمين بعدم إعطاء العلم للمؤمنين دفعة واحدة بل الانتقال والتدرج بهم من فريضة الى فريضة بعد التأكد من فهمهم لها وحفظهم لنصوصها والعمل بها وذلك حتى لا يثقل العلم على فؤادهم ويكون حفظه وتذكره أيسر • وقد ادرك الرسول بحكمته أن البشر مختلفون فى قدرتهم على تقبل العلم وفهمه فمنهم القادر المبادر ومنهم البطىء المتثاقل ومنهم من لا صبر له على التعليم • ولكل أجره وثوابه بقدر اجتهاده •• قال تعالى : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال تعالى : يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » •

ويدعو الرسول عليه الصلاة والسلام الى تسهيل وتيسير العلم للمتعلمين بالدخول فيه برفق رحمة بالمتعلمين •

قال تعالى •

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (١) •

ولما كانت الدعوة الاسلامية فى أول عهدها قد لاقت معارضة شديدة من قومه وخاصة شيوخهم ورؤسائهم ولم يؤمن بها الا بعض الناشئة والشباب كانت هناك ضرورة لان تبنى على اليسر والبساطة بما يناسب عقول المستجيبين للدعوة حتى يحدث التغيير المطلوب •

والمبدأ الذى سار عليه الرسول فى العملية التعليمية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان هو ما يسير عليه اليوم علماء التربية والمتخصصين فى طرق التدريس تحت اسم مصطلحات متعددة مثل :

البدء بالسهل ثم الصعب فى المنهج التعليمى •

الانتقال من البسيط الى المعقد •

التدرج المنطقى من الجزء الى الكل •

مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين •

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ •

وقد جمع الله فوائد هذا كله فى جملة واحدة فى كتابه من قبل فى قوله تعالى : « لنثبت به فؤادك » ٠

وبوحى من الله الى رسوله قسم منهجه التعليمى الى عدة موضوعات بدأ فيه بالسهل ثم الصعب ٠ وقد وجه الرسول الصحابة المعلمين بأن تبدأ العملية التعليمية بالشهادة بوحدانية الله فان فعل المسلم فيتعلم الصلاة فان افاد يتعلم الصيام فان استجاب يتعلم الزكاة وان نفذ يتعلم الحج وان أتم يتفقه فى الدين ٠

قال تعالى :

فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » (١) ٠

وقد قسم الرسول هذه الفروض الى جزئين : عبادات الابدان وهى الصلاة والصيام وعبادات الاموال وهى الزكاة والحج فقدم فى منهج التعليم عبادات الابدان على عبادات الأموال لان النفوس على الأموال اشح وما يتعلق بالابدان اسمح ٠ وقدم الرسول تعليم الصلاة على الصيام لان الصلاة أسهل فعلا وأيسر عملا وفى الصلاة خضوع لله ومناجاه له وابتهال اليه ، وقد جعل الله للصلاة شروط لازمة مثل الطهارة والوضوء ثم ضمنها تلاوة آيات من كتابه العزيز ٠ وهذا هو أول ما يجب ان يتعلمه المسلم ، فاذا داوم الخضوع لله وواظب على الصلاة فى أوقاتها ينتقل الى موضوع الدراسة الثانى وهو الصيام ٠

وفى الصيام تربية للنفس وكسر للشهوة المستولية عليها ، وفيه حث على رحمة الفقراء واطعامهم وسد جوعهم ٠ وفيه ايقاظ للعقول ونفع للابدان ٠

وقد فرض الرسول ذكاة الأموال قبل تعلم الحج لان فى الحج سفرا شاقا مع انفاق الأموال فتكون النفس الى تعلم الزكاة « أسرع اجابة منها الى الحج فاذا تعلم المسلم فى الذكاة مواساة الفقراء ومعونة ذوى الحاجات ليكفوا عن البغضاء والحسد والعداوة للاغنياء وليحدث بينهما التواصل ، وفى الزكاة تمرين للنفس على السماحة المحمودة واداء الحقوق ومجانبة الشح المذموم ٠

---

(١) سورة التوبة آية ١١ ٠

وبعد استقرار فروض الابدان وفرض الأموال (الزكاة) يتعلم المسلم الحج ففى ادائه تذكر ليوم الحشر بمفارقة المال والاهل وخضـــوع العـزيز والذليل فى الوقوف بين يدى الله ، واجتماع المطيع والعاصى فى الرهبة منـه والرغبه اليه ، واقلاع أهل المعاصى عما اقترفوه • وندم المذنبين عما اسلفوه ، ففى الحج توبة من ذنب واقلاع من معصية •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من علامة الحجة المبرورة ان يكون صاحبها بعدها خيرا منه قبلها » •

وتعلم اداء فريضة الحج • هو الموضوع التعليمى الذى جمع فيه الرسول عليه الصلاة والسلام بين اكثر من طريقة فى طرق التدريس فى آن واحد حيث استخدم طـــريقة التلقين والحفظ والاستظهار والتطبيق العمـلى فى الموقف التعليمى الواحد وهو ما يطلق عليه التربوى والفيلسوف الامريكى فى القـرن العشرين طريقة التعليم بالعمل • اما فى تعليم الصلاة والصيام والزكاة فتتم العملية التعليمية نظريا أو مشافهة أولا عن طريق التلقين والحفظ ثم يتبعها التطبيق العملى أو الممارسة العملية • ففى الصلاة كان الرسول يؤم المسلمون ويقول : صلوا كما رأيتمونى اصلى ، أما فى الحـج فيقول « خـذى عنى مناســككم » •

ولما كان القرآن كقوله تعالى جـل شأنه « عربى مبين » انزله الله على نبى عربى فى وقت لم تكن فيه اللغة العربية قد تهيأت لها الوحـدة اللغوية فى أرض الجزيرة النائية وبظروفها الجغرافية ولاختلاف الحياة بعامة ولهجـات القبائل بخاصة فالجزيرة العربية يقوم فى وسطها صحراء يعيش على حفافيها القبائل فى الشرق والشمال والجنوب والغرب ولم يتها لهم التواصل المتماسك فنجم عنه اختلاف القبائل العربية فى لهجتها ولغتها (من « التميمة » فى شرق الجزيرة والحجازية فى غربها) فى مظاهرة كثيرة ، وقد واجهت الدعـوة الاسلامية بالفعل هذا الواقع من الاختلاف اللغوى •

والقرآن هو هدف الدعوة الاسلامية ووسيلة العملية التعليمية كان لابد أن يلقن الى هؤلاء العرب جميعا على اختلاف ما بينهم فى اللغة ، وكان لابد من تيسيره على من يدخلون فى الاسلام حتى يأخذوا أنفسهم بترديده وحفظه

والتعبد به حسبما كلفوا من الرسول أو أصحابه المسلمون ، الا أن ألسنتهم لم تطوعهم بهذا التحول المفاجىء فى التمكن من الدين الجديد • فعمل الرسول عليه الصلاة والسلام على تيسير العملية التعليمية وسمح باقراء القرآن لاصحاب هذه اللهجات بما تستطيعه ألسنتهم لان كل ذى لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لغته فى بادىء الأمر الا ان هذه الحالة قد تغيرت حين تغير حال المجتمع العربى الاسلامى فلم تكن هناك حاجة الى الاحرف المختلفة فى القراءة حين جمع عثمان المصحف فكان مصحفه مكتوب بحرف واحد هو العربية •

قال تعالى :

« وكذلك أوحينا اليك قرءانا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » (١) •

قال تعالى :

« وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه •• » (٢) •

٢ - السلوكية :

كانت الجزيرة العربية فى الجاهلية - وهى الارض القاحلة الجرداء التى قلت فيها الحضارة والرقى وكثر بها الحروب والغارات والعادات السيئة بين رجالها - هى مهبط الوحى وأرض الرسالة السماوية التى بعث بها محمدا - ليعلمها للناس •

وكان تعديل سلوك الرجل العربى هو من ابرز الاهداف التى حققها الاسلام ، فلم يكن هدف الدين تحويل الفرد العربى الوثنى الى رجل مسلم يؤمن بوحدانية الله فحسب ، بل كان تغيير السلوك وتحويل حياة الانسان من الظلمات الى النور هو الهدف العام للرسالة السماوية • وما قام به محمد عليه الصلاة والسلام من تغيير فى سلوك المجتمع العربى وتعديل سلوك المسلمين ما هو الا عمل تربوى مقدس على درجة من الحكمة والدقة والتنظيم ويعد تعديل السلوك أو تغييره مبدأ هام من المبادىء الأساسية التى لابد ان يسير عليها أى عمل تربوى سليم •

---

(١) سورة الشورى آية ٧ •
(٢) سورة ابراهيم آية ٤ •

فالتربية السليمة تعنى بالدرجة الاولى بتغيير السلوك الانسانى أو تعديله أو توجيهه ، لانه لا فائدة من التعليم لو اقتصر على مجرد الحصول على معارف ومعلومات جديدة • ولما كان تغيير السلوك لا يتم بصورة سليمة الا اذا سبقته القاعدة المعرفية فان هذه القاعدة تعتبر وسيلة لغاية واداة لتحقيق هدف هو الممارسة الفعلية لقيمة ما ، أو لاتجاه ما والتطبيق العملى للمعرفة النظرية •

ولما كان تغيير السلوك ليس أمرا سهلا وبخاصة بالنسبة للعادات الراسخة والمنتشرة والعامة فى المجتمع فان تغيير السلوك أو تغيير الاتجاه لابد أن يمس جوانب ثلاثة هى: الجانب المعرفى والجانب الوجدانى والجانب الانفعالى حتى يتحقق هذا التغيير • ومما لا شك فيه ان الاسلام له قوة تأثير ضخمة فى هذه الجوانب الثلاث مما مكن محمد عليه الصلاة والسلام من أحداث تغييرات تربوية فى سلوك الفرد العربى الذى اعتنق هذه الديانة • فعقيدة الايمان بالله وحده التى دخلت فى قلوب ووجدان العرب بعد الاسلام ، والخوف من عظمته وقدرته وما تحدثه من انفعال ، وآياته المرتلة فى كتابه وما دعت اليه من مبدأ المساواة والعدالة والاخاء والحرية وغيرها من المبادىء المتممة للاسلام كل هذا هيأ السبيل الى الاخلاق الفاضلة •

فقد تغير سلوك الفرد العربى تغيرا شاملا من الوثنية الى التوحيد فترك عبادة الاصنام التى وجد فيها آلهته اللات والعزة ومناة ، وعبد الله وحده الذى لا يراه ولكن يرى فضله وقوته ونعمه فى الكون من حوله وفى نفسه ، وتغير من حياة البغضاء والحروب الى حياة المسالمة ، واتخذ القرآن دستورا ومن العدالة رائدا بعد ان كان السيف والقوة والظلم سلاحه فى معيشته ، وعدل عن عادة الثأر بعد ان اتخذ من القصاص حياة •

وتغير من حياة القبلية الى المسئولية الشخصية والولاء لله وحده وتغير من نظرته للمرأة وعدل عن اهانته لها الى احترام المرأة وحرصه على حقوقها ومساواته بها فى كثير من الامور •

وتغير المجتمع من الطبقية الى المساواة بين الأفراد جميعا وتغير من حياة الجهل واللهو الى طلب العلم والتفقه فى الدين •

ومما يزيد اجلالا وصلاة وسلاما على نبينا عليه الصلاة والسلام الذى أحدث كل هذا التغيير فى المجتمع ، أن عملية تعديل سلوك الصغار المسالمين فى المدارس اليوم هى عملية شاقة وصعبة ويحدثنا العلماء والادباء على تبجيل المعلم واحترامه تقديرا له علىصعوبة الدور الذى يقوم به واعترافا منا بفضله فما بالنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام بتغيير سلوك الكبار والشيوخ والاشراف الذين جمدت عقولهم وأبت نفوسهم ، ورسخت عاداتهم السيئة ، واستمدوا منها قوتهم وأمنهم وأرزاقهم وتحجرت قلوبهم ، وكان محمد عليه الصلاة والسلام اقل من بعضهم جاها وأصغرهم سنا . فلا شك ان تغيير عادات وسلوك مثل هؤلاء القوم فيه معاناة واضطهاد ومشقة وهجر للديار وقد نجح الرسول فى تبليغ الرسالة وفى اداء مهمته .

فما هى **الطريقة التربوية** التى اتبعها الرسول عليه الصلاة والسلاملتغيير سلوك العرب الوثنيين فاصبحوا مسلمين فقهاء فى علوم الدين وأصحاب حضارة اذهلت العالم من حولهم .

وكيف تغير هذا المجتمع العربى وتحول من سلوك فاسد الى سلوك كريم ؟ وجدير بالذكر ان اى عملية تعليمية ناجحة تعتمد على ثلاثة جوانب أساسية هى : الكتاب والمعلم والطريقة . فكيف تمت العملية التعليمية فى عهد الرسول واحدثت هذا التغيير فى السلوك الذى اذهل العقول ؟

نحدد المبادىء الثلاثة التالية الاجابة على هذا السؤال .

أولا : ترتيب المعرفة فى المنهج : جاءت المعارف فى كتاب الله جلت قدرته مبسطة ومتدرجة ومرتبة فى خطوات مرحلية تناسب عقول العرب وتناسب ما اتسمت به نفوسهم من الكبر والعناد . وقد أوحى الله الى رسوله بأنيتبع المنهج القرآنى فى ترتيبه عند تبليغ أوامره ونواهيه لتحقيق الهدف منرسالته وهو تعديل السلوك . فلما اراد الله أن يقلع العرب عن العادات السيئة كشرب الخمر وأمر رسوله ان ينهاهم عنها انزل علمه فى كتابه العزيز على خطوات مرحلية على النحو التالى :

(أ) الخطوة الاولى : بدات بتعريف مبسط ومحدد للخمر فى قوله تعالى

« ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » (١) ٠

(ب) الخطوة الثانية : بيان منافع مما يستخرج من هذه الثمرات ومضارها في شكل اجابة على تساؤل المسلمين في قوله تعالى :

« يسالونك عن الخمـــر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافـع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » (٢) ٠

(جـ) الخطوة الثالثة : تحريم الخمر تحريما جزئيا في قوله تعالى :

« لا تقربوا الصـلاة وانتم سكارى « (٣) ٠

(د) الخطوة الرابعة : المنع الكامل والصريح في قوله تعالى :

« انما الخمر والميسر والانصـاب والازلام رجس من عمـــل الشيطان فاجتنبوه » (٤) ٠

(هـ) الخطوة الخامسة : توضيح أسباب تحريم الخمـر وعواقب اتباعها حتى يقتنع المسلم من داخله بتجنبها وبالتالى يغير من سلوكه في قوله تعالى :

« انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » (٥) ٠

ولعل هذا التدرج والترتيب في تحريم الخمـر وتعديل سـلوك المسلمين تجاهها يرجع أيضا الى رسوخ هذه العادة وانتشارها بين العـرب ما يجعل تغيير سلوك العرب دفعة واحدة أمرا لا يناسبهم ٠

٣ ـ الشـــــمولية :

تميزت العملية التعليمية في منهج القرآن بكل ما تتضمنه كلمة الشـمول من معان وابعاد ، وأنه شمول يستوعب الحياة كلها ويستوعب كيان الانسان كله ويستوعب الزمن كله ٠

---

(١) سورة النحل آية ٦٧ ٠
(٢) سورة البقرة آية ٢١٩ ٠
(٣)سورة النسـاء آية ٤٣ ٠
(٤) سورة المـائدة آية ٩٠ ٠
(٥) سورة المـائدة آية ٩١ ٠

وقد راعى الاسلام التوازن فى هذا الشمول فبقدر ما بين للانسان حياته فى الدنيا بحلالها وحرامها وخيرها وشرها ، فصل له حياته الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب ، وبقدر ما فرض على الانسان من قيم وفرائض روحية ، رسم له الطريق المستقيم لحياته المادية ، وبقدر ما فسر خلق الانسان ونشأته وتكوينه وتطور مراحل نموه فقد أكد له بعثه بعد مماته وصور البعث فى آيات معجزة • وبقدر ما قص من أخبار السابقين من الأمم والانبياء والقرى فى الماضى فقد صور حياة العرب الجاهلين فى الحاضر ووصف المجتمع الجاهلى بكل ما فيه من مساوىء وحسنات ثم تنبأ بالمستقبل وما سيحدث فى العصور اللاحقة حتى يوم الدين بل صور هذا اليوم ووصفه وصفا مفصلا لما سيحدث فيه والعلامات التى تسبق قيام الساعة •

قال تعالى :

« ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون » (١)•

وفيما يلى بعض الامثلة لهذا المنهج التعليمى الشامل :

(أ) تعليم المؤمنين أمور حياتهم الدنيا والآخرة :

لقد قدم الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم للمتعلمين من تلامذته وصحابته والمؤمنين كل ما يعينهم على فهم أمور حياتهم من توعية بما أمر الله وما نهى عنه وارشاد وتوجيه الى الصراط المستقيم وتلاوة لآيات الذكر الحكيم وتوصية بالحق والصبر بما أوتى من علم وحكمة • فقادهم الى أحسن القول والفعل والعمل والسلوك • ثم بين للناس أن الانسان لا يترك فى الدنياسدى يعمل ما يحلو له ويقول ما يعجبه بل ان الانسان سيحاسب يوم الدين على كل قول وفعل •

قال تعالى :

« ايحسب الانسان ان يترك سدى » (٢) •

ويوم الدين هو يوم الحساب بعد البعث فمن عمل صالحا فى الدنيا يأخذ كتابه بيمينه فى الآخرة ليدخل به الجنة ومن عمل سيئات فى حياته

---

(١) سورة الزمر آية ٢٧ •
(٢) سورة القيامة آية ٣٦ •

يأخذ كتابه بشماله فيكون مصيره جهنم وبئس المصير ٠

قال تعالى :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه، انى ظننت انى ملاق حسابيه، فهوفى عيشة راضية فى جنة عالية، قطوفها دانية ٠٠وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ماحسابيه ، ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه ، خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » (١) ٠

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين بقوله :

« ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منها جميعا فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس » ٠

وهذا الحديث الشريف تبيان من الرسول للناس ما جاء فى قوله تعالى :

« وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ٠

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين ان يعملوا لدنياهم ولآخرتهم جميعا من غير افراط ولا تفريط فى حق احداهما ، والمسلم الكامل هو الذى ينظم وقته ويقسمه بين العمل للدنيا والعبادة للآخرة ، والعمل الصالح أيضا عبادة والجهاد فى سبيل العلم والتعليم عبادة وعلى الانسان ان يعطى لكل من الدنيا والآخرة نصيب فى اعتدال فالعمل للدنيا يتحقق به السعى للرزق والعمل للكسب والقيام بما يحفظ للجسم قوته وصحته والعمل للآخرة باداء الفرائض التى فرضها الله على الناس بما يحفظ للروح طهارتها وللنفس نقاوتها ، والانسان الكامل المتوازن هو الذى يعطى لكل من العمل والعبادة حقها دون مغالاة أو شطط حتى ينال ثواب الدنيا والآخرة ٠

وقد كان من عادة العرب قديما ان ينقطع مفكروهم للعبادة زمنا فى كل عام يقضونه بعيدا عن الناس فى خلوة يتقربون الى الهتهم بالزهد والدعاء ويتوجهون اليها بقلوبهم يلتمسون عندها الخير والحكمة وكانوا يسمون هذا الانقطاع للعبادة التحنف أو التحنث ، وكان مفكرو النصارى يعتزلون

---

(١) سورة الحاقة آية ١٩ - ٣٣ ٠

الحياة بكل ما فيها من طيبات من الرزق ، ويقسون على أنفسهم بالانقطاع للعبادة فى أحد الاديرة هؤلاء هم الرهبان ، الا أن القرآن ينفى أن الله يريد للمؤمنين أن يقهروا أنفسهم وبشريتهم المادية ، ويقدم لهم من الآيات التى تعينهم على ترويض أنفسهم على التجريد الروحى والزهد المعتدل فيما تتعلق به فطرة الناس من متاع الحياة الدنيا والطيبات من الرزق ٠

قال تعالى :

« وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ٠٠ » (١) ٠

« قل من حرم زينة الله التى اخرجها والطيبات من الرزق ٠٠ » ٠

فابتغاء الدار الآخرة لا يفرض على الانسان ان ينسى حياته الدنيا بل ان التوسط والاعتدال يحقق للانسان السعادة ٠

قال تعالى :

« من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب » (٢) ٠

(ب) وعظ المؤمنين بالتبصر فى خلقهم ومصيرهم :

جاء منهج التعليم الاسلامى بثلاث مفاهيم تكون فى شمولها نشأة الانسان وخلقه ومصيره ، هذه المفاهيم الثلاثة هى الحياة ـ الموت ـ البعث واراد الله أن يتعلم الناس على يد رسوله الأمين ومن قرآنه الكريم كيف نشأ الانسان ؟ ومم يتكون ؟ وما هى المراحل التى مر بها حتى خلق فى أحسن صورة ؟وكيف يخرج الانسان الى الحياة طفلا ثم يتطور نموه على مراحل حتى يبلغ ارذل العمر ثم يتوفى ، ثم اذا حانت الساعة ببعث الموتى من جديد وتهدف العملية التعليمية من هذا الموضوع الى ايمان الانسان بقدرة الله والاعتقاد فى مشيئته٠

قال تعالى :

« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم

---

(١) سورة الحديد آية ٢٧ ٠
(٢) سورة الشورى آية ٢٠ ٠

من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا » (١) ٠

« ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم اطوارا » (٢) ٠

« الم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، الى قدر معلوم » (٣)

« فلينظر الانسان مما خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من الصلب والترائب » (٤) ٠

« ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » (٥) ٠

« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (٦) ٠

(ج) تعليم الناس أخبار الماضى وحكم الحاضر ونبأ المستقبل :

قال الرسول عليه الصلاة والسلام فى كتاب القرآن باعتباره منهج شامل للتعليم :

« ٠٠٠ هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم ، فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم ٠٠٠ » ٠

ولا شك فقد اشتمل القرآن الكريم على هذه الابعاد الزمنية الثلاث الماضى والحاضر والمستقبل ومن هذا الشمول والتكامل تتحقق الشخصية المتكاملة للفرد المسلم ، فلم يقتصر التعليم الاسلامى على نقل التراث الثقافى أو خبرات السابقين فقط ولم يلقن هذا التراث باعتباره مادة تاريخية لفترة زمنية من حياة البشر ، وانما هدف التعليم القرآنى من قصص وتاريخ الأمم

---

(١) سورة الحج آية ٥ ٠
(٢) سورة نوح آية ١٣ ، ١٤ ٠
(٣) سورة المرسلات آية ٢٠ - ٢٢ ٠
(٤) سورة الطارق آية ٥ ، ٧ ٠
(٥) سورة القيامة آية ٣٧ ، ٤٠ ٠
(٦) سورة التغابن آية ٧ ٠

السابقة ان تكون مثلا وعظة وعبرة توضح للمتعلمين اخطاء الماضى ومساوىء الظلم الذى ادى بالأمم والملوك السابقين الى الهلاك ، وقصص الافراد الصالحين الذين نجاهم الله فى الدنيا ووعدهم بثواب جناته فى الآخرة ، ومنهم من اصطفاه الله فوهبه العلم والحكمة والنبوة • ان التراث الثقافى وخبرات الماضى فى القرآن الكريم يهدف الى اكساب المتعلمين القيم الصالحة وتعديل سلوكهم من الضلالة الى سلوك الاسلام • وتقديم المثل الاعلى من الاشخاص الصالحين والامم ليقتدى بهم المتعلمين • وبذلك فقد جاء القرآن بأحدث ما تتجه اليه الاتجاهات التربوية المعاصرة من جعل الخبرة السابقة أحد المصادر الاساسية للتعلم والتعليم •

وقد تميز كتاب القرآن باختزال الكم الهائل من الخبرات البشرية التى مر بها الانسان منذ نشأة آدم عليه السلام حتى نزول الذكر الحكيم فى عدد من الآيات تضمنت قصص الأنبياء بأسلوب سهل وبلاغة معجزة مما يجعل تعلمها سهلا ميسورا على الانسان •

قال تعالى :

« ذلك من انباء القرى نقصه عليك ••• ان فى ذلك لاية لمن خاف عذاب الأخرة » (١) •

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » (٢) •

« وضرب الله مثلا للذين آمنوا، امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ، ومريم ابنه عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ، (٣) •

والاهتمام بالحاضر فى حياة الانسان هو اعتراف من الاسلام بواقع الانسان الجاهلى وظروفه وما فى هذا الواقع من اخطاء وعيوب ومساوىء بهدف التعليم القرآنى معالجة هذه الظروف وايجاد حلول لمشاكل المجتمع وتعديل

---

(١) سورة هود آية ١٠٠ — ١٠٣ •
(٢) قصة يوسف آية ١١١ •
(٣) سورة التحريم آية ١١ ، ١٢ •

سلوك الفرد ، فالدين الاسـلامى نزل من أجل العـرب خاصة ومن أجل العالم عامة ٠

واتخاذ الحاضر مصدرا للتجـديد والتشريع بدل على واقعية التعليم الاسلامى وتصوير مشكلات الحاضر وما ينتج عنها من اضرار على الفـرد والمجتمع يعد بداية صالحة لعملية التغير والايمان بضرورة التغير ٠

فالفرد الجاهلى ما كان يؤمن بالتغيير ويسيء الظن فى قدرته على احداثه وكان أشد ما يحنق الجاهليين على التعليم والدعوة الاسلامية هوانها دعـوة مجددة للفكر ومغيرة للتقاليد الخاطئة ٠

قال تعالى :

« واذا قيل لهم اتبعـوا ما انزل الله قالوا بل نتبـع ما ألفينا عليه آباءنا » (١) ٠

اذ ان التقليد ونقل ثقافة الآباء الى الأبناء دون تطوير أو تجـديد كان معيارا للتربية الجيدة فى الجاهلية فاذا نشأ الطفل مشابها فى تفكيره وسلوكه وجسمه لآبائه عد ذلك الطفل نموذجيا ومثاليا تشير اليه سائر الأمهات منبهات أطفالهن الى ان يحتذى كل منهم هذا النموذج بينما التجديد كان يعد بدعـة مرذولة وخروجا على المألوف مما قد يستوجب سخط الجماعة ٠ فكل أمر وكل قول أو فعل لم يفعله الاباء لا ينبغى ان يسمح له بالاستمرار مكونا عنصرا من عناصر الثقافة ٠

وقد أملت طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه العرب الجاهلين وظروف حياتهم الحاضرة ان اتصفوا ببعض العادات والعرف والتقاليد التى شاعت الفـرقى والظلم والانحرافات فى المجتمع فاتخذ الدين الاسلامى من هذ العادات وهـذه الظروف الحاضرة للمجتمع الجاهلى أسـاسا لتعديل سلوك أفـراد المجتمع واكسابهم الاتجاهات والقيم الصحيحة ٠

اما بناء المستقبل فقد جاء فى المنهج القرآنى من حيث تصـوير مصـير الانسان بعد الموت ، ووصف ليوم السـاعة يوم القيامة ووصـف للجنـة وما فيها والنار ووقودها ٠

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠ ٠

فقد وصف القرآن يوم الساعة وعلاماتها بقوله :

« اذا زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت الارض أثقالها ٠٠ » (١) ٠

« وما ادراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » (٢) ٠

« اذا السماء انشقت ، واذنت لربها وحقت ، واذا الارض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت ، وأذنت لربها وحقت » (٣) ٠

« اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وآخرت » (٤) ٠

« فاذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ اين المفر » (٥) ٠

« اقتربت الساعة وانشق القمر ٠٠ » (٦) ٠

كذلك جاء نباء المستقبل فيما وهبه الله لبعض البشر من قدرة على على التأويل وتفسير الاحلام وما يتطلبه الحفاظ على حياة الانسان فى الأرض من التخطيط للمستقبل » ٠

قال تعالى :

« وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ٠٠٠ » (٧) ٠

« وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات يا أيها الملأ افتونى فى رؤياى أن كنتم للرؤيا تعبرون » (٨) ٠

---

(١) سورة الزلزلة آية ١ ، ٢ ٠
(٢) سورة القارعةآية آية ٣ ، ٥
(٣) سورة الانشقاق آية ١ ، ٥
(٤) سورة الانفطار آية ١ ، ٥
(٥) سورة القيامة آية ٧ ، ١٠ ٠
(٦) سورة القمر آية ١ ٠
(٧) سورة يوسف آية ٦ ٠
(٨) سورة يوسف آية ٤٣ ٠

٤ - القـــدوة الحســـنة :

قال تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (١) ٠

هناك عامل كان له أثر كبير فى تعليم المسلمين وتغيير سلوكهم والسير بهم قدما الى التجـــديد والتغيير فى تكوين المجتمع الاســـلامى والعقلية الاسلامية ذلك العامل هو القدوة الحسنة التى تمثلت فى معلمهم الاول وهو الرسول عليه الصلاة والســـلام ، فكان لهم خير مثال للخلق الكـريم ذلك الخلق الذى وصـفه الله بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » (٢) وذلك الادب الذى قال فيه الرسول صلوات الله عليه :

« ادبنى ربى فأحسن تأديبى » ٠

والمتعلمون فى عهد الرسول كانوا نوعين مستدعى علم ، وطالب علم ٠

اما المستدعى فهم الوفود والشخوص الذين استدعاهم الرسول عليـه الصلاة والسلام بعد أن دخلت قبائلهم فى الاسلام وكان كل وفد منهم لا يقـل عن عشرة أفراد ، منهم وفـد عمرو بن معـد يكرب (من زبيد باليمن) ووفـد خولان ، وأكبر وفد هو وفد الدخع من اليمن وكان عدده مائتى رجل ، فكان كل وفد بعد ان يعلن اسلامه امام الرسول يرحب بهم ثم يعلمهم شرائع الاسلام ويأمرهم الوفاء بالعهد وتأدية الامانة وحسن الجوار ويوصيهم بالا يظلموا أحدا ثم يعهد الى أحد الصحابة بتعليمهم القرآن حتى اذا رجعوا الى قومهم نشروا الدعوة بينهم وعلموهم ما علمـه الرســول لهم ويحلوا ما أحـــل ويحـرموا ما حـرم عليهم ٠

اما طالبى العلم فهم الصحابة الذين دخلوا فى الاسلام طـــوعا ورغبـة وضحوا وجاهدوا من أجل الاسلام وهو لا يزال غضا اما بالنفس أو بالأموال وقد أقبل الرسول على تعليمهم من خلال ملازمتهم له ٠

وكان طالبى العلم أفضل عند الرسول من المستدعين له ٠

وقد كان الرسول قدوة للمســـلمين فى حبه للعلم وقد أوصى أصـــحابه بالاستزادة من العلم كما أوصاهم بطالبى العلم ٠

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢١ ٠
(٢) سورة القـلم آية ٤ ٠

« تعلموا العلم فان تعلمه حسنه ، ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعلمه ممن يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو منار سبيل أهل الجنة » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لان أعلم بابا من العلم فى امر ونهى ، أحب الى من سبعين غزوة فى سبيل الله عز وجل » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

« دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى مجلسين ، أحد المجلسين يذكرون الله ويرغبون اليه، والآخرون يتعلمون الفقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما أفضل من صاحبه ، اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما ، فجلس معهم .

وقد أوصى رسول الله بالمتعلمين الصغار ، قال أبو هارون العبدرى :

« كنا اذا اتينا أبا سعيد الخدرى يقول : مرحبا بوصية رسول الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انكم ستفتحون البلاد فيأتيكم غلمان حديثة اسنانهم يتفقهون فى الدين ، فاذا جاءوا فاوسعوا لهم فى المجلس وافهموهم الحديث » .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا ، ولا تضعوه فى غير أهله فتأثموا » .

وقد اعطى الرسول للصحابة والمؤمنين كل ما تعلمه من الله تنفيذا لأوامر الله فى قوله تعالى :

« واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » .

« ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (١) .

كما أن فى التعليم فائدتان احداهما ما يرجوه المعلم من ثواب الآخرة - فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التعليم صدقة حيث قال :

« تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأى يسدده » .

وقال :

« تعلموا أو علموا فان أجر العالم والمتعلم سواء ، قيل وما اجرهما قال : مائة مغفرة ومائة درجة فى الجنة » .

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٩ .

والفائدة الثانية هو أن العلم كلما نأخذ منه يزداد وينمو فيتقدم العمل ويتطور المجتمع ولم يكن الرسول قدوة حسنة فى رغبته للعلم والتعليم فحسب بل كان قدوة للمتعلمين فى كل أقواله وافعاله . فكان قدوة فى الزهد والصدق والامانة والرحمة والعدل والعفو ولما كانت هذه كلها قيم خلقية تسعى التربية الى تحقيقها فى كل زمان ومكان فسوف نأتى بمثال لكل منها أو بعضها حسبما يوفقنا الله فى ذلك .

مثال للرحمة :

قال تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (١) .

عندما خرج جيش الرسول صلى الله عليه وسلم الى مؤته بقيادة مولاه زيد بن حارثة أوصاهم الرسول بقوله : « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا ... لاتغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ... وستجدون رجالا فى الصوامع معتزلين للناس فلا تتعرضوا لهم، وستجدون آخرين فى رؤسهم مفاحص فاقطعوها بالسيوف ، ولا تقتلن امرأة ولا صغيرا ضرعا ولا كبيرا فانيا، ولا تغرقن نخلا ولا تقطعن شجرا ولا تهدموا بيتا » .

مثال للعدل :

« فمن ذلك ما حدث فى عهد الرسول صلوات الله عليه بشأن فاطمة المخزومية التى كان قد وجب عليها حد السرقة لسرقتها قطيفة وطيا . فقد جاء اسامه بن زيد وكان من أحب الناس الى رسول الله يشفع فيها ويرجو من الرسول ان يغفر لها ذلتها ولا يقام عليها الحد لأنها تنتمى الى بطن من أشرف بطون قريش ، فأنكر الرسول عليه الصلاة والسلام شفاعة أسامه على حبه له وانتهره قائلا : اتشفع فى حد من حدود الله : ثم قام فخطب الناس فقال : انما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »

مثال الوفاء :

« يروى أنه قدم على رسول الله وفد من عند النجاشى ملك الحبشة فرحب الرسول بهم وقام بنفسه يخدمهم فقال له أصحابه نحن نكفيك ، فقال : أنهم كانوا لاصحابنا الذين هاجروا الى الحبشة من اضطهاد الكفار لهم فى مكة مكرمين وانى أحب أن اكافئهم » .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

ذلك هو القدوة الحسنة التى تمثلت فى خلق الرسول صلوات الله عليه فغاض على تلامذته وأصحابه بارشادهم وتهذيبهم وتأديبهم • فكانت أخلاقه هديا لهذا المجتمع الجديد وكانت صفاته قوة ربطت بين أفراد المجتمع برباط وثيق وكانت قيادته ملهمة الخير لامته •

فقد كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه ، يقبل الهدية ولو انها جرعة لبن أو فخذ ارنب ويكافيء عليها ، ويأكلها ولا يأكل الصدقة وينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه • وكان لا يدخر شيئا لغده حتى لقد توفى ودرعه مرهونة عند يهودى فى قوت عياله • ويكرم اهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوى رحمة من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، ولايجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر اليه ، يمزح ولا يقول الا حقا ، يضحك من غير قهقهة ، ترفع الاصوات عليه فيصبر . وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس ولا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى • أو فيما لابد له منه من صلاح نفسه •

وكامن خلقه أن يبدأ بالسلام على من قابله واذا وجد أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله ، وكان اذا جلس مجلس علم أو عمل لم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لانه كان حيث انتهى به المجلس جلس ، ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به ، ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم ، وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا ، وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم تكن ترتفع فى مجلسه الأصوات •

وكان نزر الكلام سمح المقالة ، اذا نطق ليس بمهزار ، وكان أوجز الناس كلاما وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد ، وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضا ، بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه ، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة ، وكان طويل السكوت

ولا يتكلم فى غير حاجة ، ويعرض عمن تكلم بغير جميل ، وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده فى الحديث ، ويعظ بالجد والتضحية ويقول :

« لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه » وكان أكثر الناس تبسما فى وجوه أصحابه ولربما ضحك حتى تبدو نواجزه ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء وتوقيرا له ٠

وكان شديد الزهد فى الحياة المادية حتى بلغ به ان اتخذ فراشا خشنا وكان طعامه بسيطا واذا أكل لا يشبع ٠

ويروى أنه عندما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم رسوله بكتاب الى المقوقس عظيم مصر ، ويدعوه الى الاسلام ، استجاب المقوقس وبعث مع رسول النبى بعض الهدايا هى : جاريتين وثياب وبغلة وطبيب ٠ وتذكر المصادر العربية ان الرسول قبل الهدايا كلها ما عدا الطبيب فأرجعه الى أهله وقال له : « إنا قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » فقد اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يقول ان بيت الداء المعدة الملانة وقد وقاهم الله شر هذا الداء فهم ليسوا فى حاجة الى طبيب ٠

واذا كان الجوع قبل الاكل ، أو الاكل بغير شبع له هدف صحى عند الرسول فان له هدف تعليمى أيضا وهو ان أوقات الجوع أفضل للحفظ والتفقه من أوقات الشبع ويعظ اعرابى أخاه فيقول له :

« اياك والبطنة فانها تعمى عن الفطنة » ٠

وقال عمر بن هبيرة لملك الروم : « ما تعدون الاحمق فيكم قال : الذى يملأ بطنه من كل شىء يجد » ٠

وهكذا كان الرسول قدوة للمتعلمين ٠ والقدوة الحسنة أمر لازم لكل معلم لان المعلم لا يطاع الا اذا كانت أقواله مطابقة لافعاله ولا يكتسب تقدير المتعلمين واحترامهم له الا اذا بدأ باصلاح نفسه قبل ان يطلب منهم الصلاح والفضيلة ٠

قال تعالى :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ٠

ولذلك كان وزر المعلم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير حين يقتدون به ٠

قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا » ٠

ويقول :

« همة العلماء الوعاية وهمة السفهاء الرواية » ٠

ولقد حقق الدين الاسلامى بما فيه من مبادىء وأسس وقيم تربوية ما تهدف التربية الى تحقيقه ومنها : -

١ - **تحقيق التماسك الاجتماعى وتذويب الفوارق بين الطبقات** فقد قامت الدولة الاسلامية على اعتبار المؤمنين جميعا من أى جنس أو لون أمة واحدة ، ذمتهم واحدة وسلمهم واحد وانهم متساوون فى الحقوق والواجبات فقد سوى الاسلام بين البشر جميعا كلهم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى • وكان للعبادات المفروضة فى الاسلام وعلى الاخص الصلاة أكبر الأثر فى تحقيق المساواة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم فهم جميعا يقفون صفا واحدا خلف امام واحد ليس لاحدهم ان يتقدم غيره لحسب أو نسب او مال أو جاه • وكانت أول خطوة اقبل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرد وصوله الى المدينة المنورة واستقراره فيها هو العمل على اقامة مجتمع اسلامى راسخ متماسك يتألف من المهاجرين والأنصار فآخى بينهم ، وبنى المسجد الذى يعتبر أول وأهم ركيزة فى شيوع الأخوة والمحبة بين المسلمين فهم يتلاقون فى المسجد للصلاة وللتعبد والتعليم وقد تساقطت عما بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار والحسب والنسب •

٢ - **تنمية انماط اجتماعية جديدة** : ان ظروف الحياة فى المجتمع العربى فى الجاهلية كان لابد ان يشملها التغيير والتعديل ومساعدة الافراد على تقبل أمور جديدة لم يألفوها من قبل والتخلى عن عادات قبيحة الفوها عن اباءهم ، ولما كانت **التربية** وسيلة تكوين أنواع من السلوك وتغييرها وتنميتها على أساس من العلم والمعرفة • فقد دعا الاسلام الى استخدام العقل والعمل على تحريره من الضلال والتقاليد كما حرره من الخضوع لتقاليد وعادات الاسلاف فى العبادة والتفكير وفى ذلك يقول الله عز وجل :

« اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه اباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (١) • وقد حرص الاسلام على تعديل سلوك الافراد دون اجبار أو أكراه ، فالعقائد لا تتكون فى نفوس العقلاء بالقوة والقهر وقد اكتفى الاسلام بالدعوة من غير اكراه •
قال تعالى :

« لا اكراه فى الدين » ويقول تعالى :

« نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » (٢) •

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠ •
(٢) سورة ق آية ٤٥ •

٣ - **تنمية الاطار القومى :** أن أهم ما تهدف اليه **التربية** هى ان تحافظ على المجتمع فهى تعمل دائما فى أطار المجتمع القومى الذى منه تستمد فلسفتها واتجاهاتها وأهدافها والتى فى ضوئه تختار الخبرات التعليمية لتنمية الاطفال والناشئين بواسطتها وقد عمل الاسلام على الحفاظ على الاطار القومى بايديولوجيته والإسهام فى تطوير هذا الاطار وتنميته بالغاء الزعامة القبلية وجميع عاداتها وتقاليدها التى يمارسها رؤساء القبائل وكهنتها وعرافها ، واحلال الأمة محل القبيلة وجعل الولاء لله وحده وليس لشيخ القبيلة ، واذا حدث خلاف أو شجار يخاف المرء فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى كتاب الله وسنته ، وفى حالة تعارض مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة فان مصلحة الجماعة فوق مصلحة الفرد وتقديم الصالح العام على المصالح الشخصية والفردية • وقد اضطلع الاسلام بمهمة تنمية الاطار القومى فاتخذ من الديموقراطية أسلوب حياة ومن الاشتراكية طريق معيشة ولكى يستمر السلوك الديمقراطى الاشتراكى فقد حرص الرسول ان يعبر عن نفسه فى علاقات الافراد واتجاهاتهم ومفاهيمهم وطرائقهم عن طريق التعليم والممارسه والاداء فى مواقف تعليمة تجاوزت حدود الدعوة والتوعيه والتبشير الى مستوى القدوة الحسنة فتمكن بالفعل من بناء شخصيات ديموقراطيةاشتراكية قائمة علىمبادىء اساسية من العدلفىالمعاملة والمساواة فى توزيع الخدمات والحرية فى التعبير والشورى فى الرأى ، وعلى دعائم رئيسية من الاخاء والتضامن والتكامل الاجتماعى وتكافؤ فى الفرص واعتبار المسئولية جماعية ومباشرة بالنسبة الى كل فرد فى الدولة سواء فى السلم أو الحرب •

٤ - **الابتكار والخلق :** تنظر **التربية** فى العصر الحديث الى أن نقطة البداية فى المدرسة هى الانسان الفرد باعتبار أنه ذو طبيعة غير ثابتة أو محددة بعوامل بيئة معينة ، أو أنها فطرية تحكمها عوامل غريزية جامدة وانما هى مرنة متكاملة متفاعلة مع البيئة ومن ثم فان وظيفة المدرسة هى تنمية ذكاء الفرد على نحو يجعله يستخدم عقله لكى يكون مبدعا خلاقا فى ثقافته وبيئته وتعد هذه الوظيفة من أعلى وظائف التربية مرتبة ، ويستدل منها على ان العقل البشرى لابد ان يصل الى درجة الابداع والابتكار بعد ان يصل الى درجة عالية من العلم ، غير ان الدين الاسلامى يعد أكثر مرونة فى تحقيق هذا الهدف اذ علم خالق الكون ومنشىء العقول والافكار ومصدر المعارف

والعلوم ان الناس فى الفهم والتفكير وادارك الحقائق والوصول الى المعـــرفة والقدرة على الخلق والابداع الابتكار لن يكونوا متماثلين ولا متشابهين وانما تختلف قدراتهم فى هذا كله ويفصل بينهم فروق فردية شاسعة اذ ان فريقا منهم لن تهيء له قدرته وحالاته والظروف المحيطة به الا الوصول الى قـــدر قليل من العلم او نبذا من المعرفة ، وان فريقا آخر لن تعد وراثته الا للسطحى من المعارف وثالثا قصرته بيئته على قشور من الثقافة دون اللباب ، ورابعـا حصرته تربيته فى دائرة ظـواهر المرئيات والنواحى المادية دون الروحية ، وخامسا سجنته عقيدته فى منطقة الاساطير والخرافات ، وسادسا يعتمد على الحواس باعتبارها القوة العارفة الموجهة لنشـاطه ، وسابعا يرى فى الذهن المعتمد على الحاس والمحسوس طريقا فى الوصول الى المعرفة والعلم ، وثامنـا يرى ان العقل المجرد الذى لا يابه الى الحس البتة هو وســيلته فى المعرفة والحكم على الأشياء ، وتاسعا يستخدم البصـــيرة النقية عندما تتخلص من علائق الحس وغواشى المادة . فلو ان المبدع الخالق العالم بكل شيء طالب هذه الطوائف جميعها على ان تستخدم عقلها وتنمى ذكائها لتصل الى درجة الابداع والابتكار وتكون فى مستوى واحد من العلم والمعرفة والقدرة الابتكارية وان تنظر الى الأشياء بمنظار واحد لكان ذلك مباينا ومخالفا وتحديا لقدرة العقـل واجباره بالتعلم والتدريب على الخلق والابداع والابتكار ومطالبة كل الطوائف البشرية بالتساوى فى الذكاء والقدرة والاستعداد اذا بلغت مرحلة معينة من التعليم والدراسة غير ان المبدع الخالق وهو احكم الحاكمين واعدل العـــادلين قد رسم للمعرفة والعقل طرقا تتناسب احكم التناسب مع كل الطوائف البشرية وتتسق احسن الاتساق مع مختلف العقليات البشرية ومتباين الملكات العقلية وقد أشار اليها جميعا فى القرآن الكريم .

٥ ـ نقل التراث الثقافى : يحرص كل مجتمع من المجتمعات خلال نظامه التربوى على ان ينقـــل الكبار الى الصـــغار عاداتهم وأمالهم وخبراتهم ونشاطهم فطبيعة الافراد من حيث وجودهم المـادى والاختلاف فى الاعمـار وانتقال الحياة من السلف الى الخلف بعد ان ينتهى وجودهم المادى يجعـــل عملية نقل التراث الثقافىعملية اجتماعية ضرورية لاستمرارالنسيج الاجتماعى. وفضلا عن أهمية هذه العملية فى الحياة الاجتماعية فانها تعتبر من ناحيـــة

أخرى ذات وظيفة تربوية عميقة الأثر فهى توفر للاجيال الناشئة خبرات فسيحة متغيرة ، ويشترك مع السابقين فيشعر بشعورهم ويحس بأحاسيسهم، وقد يغير اتجاهاته وسلوكه فى ضوء ما يتعلم من خبراتهم السابقة وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من المعارف والخبرات عن حياة الامم السالفة قبل الاسلام وخبرات الرسل والانبياء السابقين مع أممهم ، وما اتصفت به كل أمة من عادات وتقاليد وأفكار خيره أو سيئه وما واجه كل منهم ازاء افعاله وأفكاره. ويهدف القرآن الكريم من هذا التراث الثقافى الى تقديم العظات والعبرة ليدركها أولو الالباب فيسيرون فى الطريق القويم ويبعدون عن السلوك المعوج ويكتسبون اتجاهات وقيم صالحة .